من التعبيرات الدارجة هنا «الرئيس المباشر»، فى بعض المراحل، خاصة الحقبة الشمولية جرت السخرية منها، لكن لم تفقد دلالتها أو مضمونها قط، فثمة «مباشر» لابد من التعامل معه. التوجه إليه، اتخاذه معبرا أو أداة للوصول إلى ذلك المحتجب، الجالس فى مكان ما من الطابق الثانى عشر، من تنتهى كافة الخطوط إليه.

من يدير الجراج؟

العربات تجىء وتمضى، المعدات تدور وتتوقف. الصيانة مستمرة، أوامر التشغيل تنفذ بدقة. البنية مستمرة، ثمة أخطاء يتم تلافيها بسرعة، كأن البروفيسور يدير عجلة العمل. كأنه لم يفارق موقعه، قابع، متمكن فى مكتبه، والله إن الناس ليفتقدونه، بل إن معظمهم ليحن إلى أيامه، ولحظات ثورته، وانفعاله المفاجئ، وعودته إلى هدوئه، كان أبيض القلب، لا يحمل ضغينة لأحد، ولم يعرف الجراج مديرا مثله، ليته لم يرشح لرئاسة المؤسسة، كان ذلك بداية اهتزازه ورجته، قبل واقعة السمك، هنا لابد من الإشارة إلى أحد تداعيات تلك الحالة المؤسسية، فما إن يفتقد أحد القطاعات رئيسه المباشر لسبب ما. اعتقال مفاجئ، إجراء استثنائى، مرض، يقبل القوم على بعضهم، يتضامون، يتقاربون، يحجم كل منهم عن إبداء التذمر، أو افتعال الشكوى، أو إثارة القلاقل، إن تراصا يبدأ، ويستمر مدة إلى أن تنجلى الأمور. لا يعرف أشد الخبراء علما بأحوال المؤسسة المدة التى يمكن اعتبارها حدا أقصى لهذه الحالة، والعناصر المؤيدة، الداعمة. هذا مما يستعصى على التفسير، ومما يتردد، أن المؤسس أبدع فى التكوين، حتى أن النظام كله يمكن أن يمضى بذاته فى حالة التعرض لهزات عنيفة، وخلو الطابق الثانى عشر من عقلية